

المرأة الكردية في سوريا

- محاولة لتطويق المشهد

عن تقرير: لأمد إدراهم

المرأة الكردية والعزلة سورياً:

تضاف إلى المعاناة الاجتماعية للمرأة الكردية معاناة أخرى وهي الاضطهاد السياسي الذي شمل الأكراد السوريين وطمس هويتهم القومية في سوريا عبر تجاهل وجودهم في أهم وابسط الوثائق الرسمية للدولة، وكي لا نجر للحديث حول القضية الكردية فنلزي معاً ما الذي نص عليه الدستور السوري بشأن المرأة السورية، وهي المادة "الخامسة والأربعون" والوحيدة و إليكم نصها : (تكفل الدولة للمرأة جميع الفرص التي تتيح لها المساهمة الفعالة والكاملة في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وتعمل على إزالة القيود التي تمنع تطورها ومشاركتها في بناء المجتمع العربي الاشتراكي).

لم يغفل الدستور السوري حتى فيما يتعلق بشؤون المرأة الإشارة والتأكيد على مفهوم العروبة وحصر أي نشاط أو حراك في حدود هذا المفهوم، ولم يفوته دسترة بعض الشعارات الحزبية كذلك وجعلها دستوراً لا حياد عنه!. وهنا يجدر التأكيد على أن هذا الجانب من قضية المرأة الكردية هو جزء من مشكلة كبرى وهي مشكلة التعدد القومي في سوريا.

وبالتتابع فقد انطلت صبغة الدستور السياسية على كافة المؤسسات الرسمية في الدولة بما فيها الإتحاد النسائي العام في سوريا والذي تأسس عام ١٩٦٧ بموجب المرسوم التشريعي رقم ١٢١/ تاريخ ١٩٦٧/٨/٢٦ ، ويعد الإتحاد النسائي العام أول تنظيم نسائي مسجل لدى وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، مركزه مدينة دمشق وله فروع في كافة المحافظات. ومن خلال الإطلاع على أهداف هذا الإتحاد والمبينة في وثائقه الخاصة نلاحظ اقتصر نشاطاته وخدماته على المرأة العربية وإغلاق أبوابه أمام انضمام غير العربيات، لكنه أبقى على بعض النوافذ التي يمكن التسلل من خلالها لأروقه كان تتقدم المرأة الكردية بطلب انتسابها لحزب البعث العربي الاشتراكي!. فقد جاء في البندين الثاني والسابع من أهداف الإتحاد ما يلي:

٢ تعميق الوعي الوطني والقومي عند المرأة في القطر ورفع مستواها الثقافي والسياسي وتنمية خبراتها لتمكينها من المساهمة الفعالة والكاملة في الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية بما يحقق التقدم والتنمية

٧ العمل مع جماهير النساء والمنظمات النسائية في الأقطار العربية لدعم قضايا تحرر المرأة وتحقيق وحدة الحركة النسائية العربية وإيجاد الوسائل العلمية والعملية التي تضمن مساهمتها الفعالة في عملية التنمية الشاملة لإقامة المجتمع العربي المتوازن العادل في الحقوق والواجبات.

يتضح لنا مما سبق أن الإتحاد النسائي يسخر جانباً كبيراً من اهتماماته للقضايا السياسية القومية ولكنه في كل الأحوال يبقى هدفاً لا اعتقد أنه ممكن التحقق حاضراً طالما بقيت المرأة السورية سواء العربية أو الكردية أو الآشورية وسواها تعاني من مشاكل اجتماعية عديدة، خاصة مع استمرار مشكلة الأمية المنتشرة بشكل كبير في الأرياف السورية. وخالصة القول أن المرأة الكردية غير منتفعة من أي مؤسسة نسائية رسمية بما فيها الإتحاد النسائي ما جعلها تقف إلى جانب أبناء جلدتها من الذكور لتناضل في الفسحة التي تتيحها لها رقابة المجتمع في سبيل نيل حقوقها القومية وتثبيتها دستورياً لعلها تحصل بعد ذلك على الحصانة من الدولة لتتنشط كذلك اجتماعياً دون اضطرابها لخلق هويتها القومية.

المرأة الكردية والحركة السياسية الكردية في سوريا:

لم يقتصر النشاط السياسي التنظيمي الكردي على الرجال وحسب حيث انضمت المرأة إلى صفوف الحركة السياسية الكردية منذ بدايات تأسيس هذه الحركة وبالرغم من أن النضال السياسي النسائي يعتبر مرحلة متقدمة اجتماعياً إلا أن شكل النضال لدى المرأة الكردية بقي مرهوناً بالتقاليد الاجتماعية السائدة إلى حد كبير، حيث لم يكن انخراط النساء الكرديات في الأطر التنظيمية انخراطاً كاملاً وإنما لجأت الأحزاب الكردية إلى بناء منظمات نسائية حزبية تستجمع النساء الحزبيات اللواتي يقمن بتطبيق النظام الداخلي للحزب ويلتزمين ببرنامجه السياسي، وإن كانت هذه المنظمات النسائية توحى بدايةً بأن سبب وجودها هو تحسين شؤون المرأة الكردية والتفرغ لخدمتها إلا أن السبب الرئيسي حسب رأي كان اجتماعياً، حيث لا تمتلك معظم النساء الحرية في مخالطة الرجال ومشاركتهم بشكل مباشر في أمور السياسة مما عزز دون قصد من الأحزاب وعلى امتداد نصف قرن من الزمن ثقافة عزل المرأة عن الرجل، وكان نشاط هؤلاء النسوة ولازال في حدود الفعاليات الحزبية والمناسبات القومية وإن لا يخلو الأمر من بعض المحاولات للتنوع ونشر الوعي حول قضية المرأة، حيث تروي في هذا الشأن السيدة (سعاد جكرخوين) ابنة الشاعر الكردي الشهير (جكرخوين) وصاحبة تجربة مديدة في النشاط النسائي في كل من سوريا والسويد، بعض تفاصيل نشاطها في صفوف التنظيم النسائي لأول حزب كردي، تقول السيدة سعاد :

(بدأت نشاطي في مجال حقوق المرأة مع بدايات نشوء (البارتي) وهو أول حزب كردي في سوريا مع المنظمة النسائية للحزب منذ سنة ١٩٦٥ برفقة مجموعة من زميلاتي أذكر منهم (فاطمة شرنخي) و(أمينة عمر) المعروفة بين الأكراد — (كه جا كورد)، وكان نشاطنا حين ذلك يقتصر على إحياء مناسبة عيد المرأة وعيد النوروز بشكل سري حيث كان يمنع حينها الاحتفال بهذه المناسبات).

لا بد أن موقع المرأة الكردية قد تحسن بشكل ملحوظ بين صفوف الحركة الكردية في سوريا وذلك نتيجة لكمية الوعي والثقافة التي تجرعهما المجتمع الكردي خلال عقود ولا ننكر أن الأحزاب الكردية ساهمت بإيجابية في توعية الأب والأخ والزوج بشكل نسبي وعملت بكثافة في سبيل أن تحصل المرأة على حق التعلم ومن الجوانب المضيئة في سجل الحركة الكردية أنها لم تحرض يوماً أبنائها على مقاطعة المدارس والجامعات بحجة أن الكردي يجب أن ينهل العلم بلغته لا بلغة غيره مما ساهم بالفعل في تكوين شريحة متعلمة ومتنورة واسعة من الجنسين على حد سواء. لذلك نرى اليوم المرأة الكردية وقد تقلدت بعض المسؤوليات القيادية في أحزابها وتشارك بشكل أكبر في مختلف الفعاليات، كما كان نزولها إلى الشارع في أحداث آزار الدامية واضحاً إذ كانت متواجدة بين الجرحى والمعتقلين بل وبين الضحايا.

أما مؤخراً وبعد أن شهدت سوريا حالة من الاسترخاء الأمني وتحديداً خلال فترة حكم الرئيس السوري بشار الأسد وظهور ما يسمى بلجان وجمعيات إحياء المجتمع المدني غير المرخصة والمتغاضى عنها، فقد شعرت نخبة من النسوة الكردي بضرورة الاتجاه إلى العمل الاجتماعي بعيداً عن إرهابات الحزب وتسخير الجهود من أجل قضية المرأة مدفوعين بمساحات التفاوض المتفاوتة التي تشهدها سورية.